٨

الإسلام هو النظام العالمى الجديد

obeikandi.com

obeikandl.com

مع التقدم الهائل فى وسائل المواصلات والإتصال، أصبح العالم بمثابة قرية اليكترونية صغيرة، وبالتالى أصبح هناك ضرورة ومبرراً للحديث عن مصير إنسانى واحد، وعن ضرورة وجود معايير دولية واحدة، أو حدوث شكل من أشكال المشاركة الإنسانية الشاملة، ولكن هناك اتجاهاً قوياً يجد من يسنده إعلامياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً عن ضرورة جعل الحضارة الغربية بقيمها وخصائصها هى النظام العالمى الجديد على أن تكون أمريكا هى قائدة هذا النظام العالمى الجديد.

وإذا كنا نقبل ونرحب وندعو إلى المشاركة الإنسانية الشاملة، لأن العالم أصبح شديد الترابط، وجعلته وسائل الإتصال والمواصلات قرية اليكترونية صغيرة، فإننا لا نجد أن هناك ارتباطاً شرطياً بين ذلك وبين إخضاع هذا العالم للمنظومة القيمية للحضارة الغربية، أو لأى منظومة حضارية واحدة، هذا العالم الصغير المترابط المتصل يمكن أن تتعايش فيه أكثر من حضارة دون أن تمارس إحداها على الأخرى قهراً أو تسلطاً أو تستهدفها للتذويب أو التدمير أو الإلحاق، والحضارة الإسلامية مثلاً فى وقت تفوقها لم تمارس قهراً أو تسلطاً أو إلحاقاً على الحضارات الأخرى، وتركت المسألة للخيار الحر.. **﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾** .. ولا إكراه طبعاً فى الحضارة ولا فى القيم الحضارية.

ومع ذلك فإننا أيضاً لا نمانع فى أن يسود العالم نمط حضارى واحد بشرط أن يكون ذلك من خلال الاختيار الحر وليس القهر والعنف والإجبار، ولابد أن تكون هذه الحضارة التى ينبغى لها أن تسود العالم ينبغى لها أن تكون عالمية فى قيمها ومعاييرها، وهذا شرط بديهى فكيف تسود العالم حضارة ليست عالمية!! هذا طبعاً بالإضافة إلى شروط أخرى كالعدل والمساواة والأخلاقية والإحساس بالمسئولية وغيرها.

والذين يدعون مثلاً إلى سيادة الحضارة الغربية على العالم، يدعون فى الحقيقة إلى سيادة حضارة غير عالمية على العالم، وهذا منتهى التناقض والمغالطة وما دام الحديث عن العالمية، فلنبحث عما إذا كانت تلك الحضارة المرشحة وهى الحضارة الغربية ذات قيم عالمية أم لا، أى أن نخضع الحضارة الغربية فى قيمها وخصائصها وممارستها لفحص وتمحيص عالميين.

الحضارة العالمية مثلاً ولأنها عالمية أى تضم الأبيض والأسود والأصفر والأحمر فيجب أن تكون لا عنصرية، أما الحضارة الغربية فهى عنصرية حتى النخاع وسجلها العنصرى حافل، بدءاً من إبادة شعب كالهنود الحمر، ومروراً باسترقاق السود، وانتهاء برفض فرنسا إعطاء الجنسية الفرنسية لشعب الجزائر حينما أدمجت الجزائر بالقوة وجعلتها جزءاً من فرنسا.

الحضارة العالمية يجب مثلاً أن تكون ذات معايير واحدة، تقيس بها الأوروبى والعربى والهندى والصينى بمعيار واحد، أما الحضارة الغربية فهى حضارة مزدوجة المعايير، فلا يعقل مثلاً أن تتجاهل طرد وتشريد الشعب الفلسطينى وقمعه بلا رحمة على يد القوات الإسرائيلية، أن تتجاهل الإرهاب الإسرائيلى ضد الشعب الفلسطينى واللبنانى وتصيح فى وجه الإرهاب الليبى! ليس من المعقول مثلاً أن تتحدث الحضارة الغربية عن حقوق الإنسان، والديمقراطية وحرية الإنتخابات ونزاهتها، ثم لا تقبل بخيار الشعب الجزائرى من خلال صناديق الإنتخاب، وتتآمر على خياره وتأتى وتدعم حكومة توقف المسار الإنتخابى!

الحضارة العالمية يجب مثلاً أن تسعى لإسعاد كل البشر وليس أوروبا وأمريكا وحدهما، والحضارة الغربية ليست عالمية بهذا المعيار، لأنها تعتمد فى رفاهية شعوب أوروبا وأمريكا على نهب ثروات الشعوب الأخرى وإفقارها.

الحضارة العالمية، وبما أنها عالمية فيجب أن تكون أمينة على البيئة ومستقبل الحياة البشرية على كوكب الأرض، أما الحضارة الغربية فهى حضارة غير أمينة تفسد البيئة وتخل بالتوازن البيولوجى فى الكون وتؤدى إلى التلوث ويمكن أن تؤدى بكارثة على مستوى الكرة الأرضية كلها.

الحضارة العالمية يجب أن تكون حضارة ذات مسئولية أخلاقية، والحضارة الغربية التى يموت فى ظلها ٥٠ مليوناً من البشر جوعاً سنوياً منهم ١٥ مليون طفل ليست بالطبع عالمية بهذا المعيار.

إذن فالمعايير العالمية تجعل الحضارة الغربية ليست حضارة عالمية، وبالتالى فمن الطبيعى والواجب وفى إطار الحديث عن الحضارة العالمية أن نبحث عن حضارة أخرى تتفق مع المعايير العالمية.

وإذا بحثنا فى العالم عن المنظومات الحضارية الموجودة لنأخذ منها واحدة تصلح لصفة العالمية، لوجدنا هناك الحضارات الفرعونية، الآشورية، السومرية، الفارسية.. وهذه كلها إما اندثرت وإما اندمجت طواعية فى الحضارة الإسلامية، ونجد الحضارات الصينية والهندية واليابانية والافريقية الزنجية وهذه حضارات لا تحمل رسالة ثقافية وبالتالى لا تصلح لصفة العالمية، ولا يبقى إلا حضارة الهنود الحمر وهذه تمت إبادتها بجريمة كاملة المعالم على يد الحضارة الغربية، والحضارة الإسلامية وهذه وحدها المرشحة لقيادة العالم، والتى تحمل وحدها صفة الحضارة العالمية.

وهذه الحضارة الإسلامية تمتلك رصيداً هائلاً من التراث القيمى والأيديولوجى وأثبتت حيويتها وإيجابيتها وتعرضت لضغوط هائلة أمام الحضارة الغربية ولكنها صمدت أى أنها أولاً ما زالت موجودة وما زالت حيوية، والجميع يعترف بهذه الحقيقة، أى حقيقة حيوية الحضارة

الإسلامية واستمراريتها وعدم القدرة على تدميرها. يقول أعداؤها عنها ذلك مثل باول شميتز مثلاً: «إن انتفاضة العالم الإسلامى صوت نذير لأوروبا وهتاف يجوب أفاقها يدعو إلى التجمع والتساند الأوروبى لمواجهة هذا العملاق الذى بدأ يصحو وينفض النوم من عينيه، هل يسمعه أحد؟.. هل من مجيب»؟*.

إذن فهى حية، بل وما زالت خطيرة على أوروبا القوية !

ويقول باول شميتز أيضاً: «إن القوة الإسلامية قوية وحيوية وموجودة لأنها قائمة على أسس لا تتوافر فى غيرها من تيارات القوى العالمية»**.

ويعترف بذلك المفكر الإنجليزى هيلد بلوك: «لا يساورنى أدنى شك أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الإسلام، لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه»***.

ويقول لورانس براون: «الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام، وفى قدرته على الإنتشار وفى حيويته المذهلة»****.

ويقول ريتشارد نيكسون: «ويحذر المراقبون من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة وأنه مع التزايد السكانى والإمكانيات المادية المتاحة سوف يشكل المسلمون قوة هائلة ومخاطر كبيرة»*****.

---

* باول شميتز نقلاً عن عبدالوارث سعيد.. مرجع سابق.

** باول شميتز ـ مرجع سابق.

*** نقلاً عن عبدالوارث سعيد ـ مرجع سابق.

**** نقلاً عن د. عمر فروخ ـ مرجع سابق.

***** ريتشارد نيكسون ـ الفرصة السانحة ـ ترجمة أحمد صدقى مراد.

إذن فاستمرار التواصل الحضارى الإسلامى، واستمرار الإسلام وحيويته المذهلة وقدرته على التجديد والإنتشار أمر لا يختلف عليه اثنان، فإذا أضفنا إلى ذلك أن المسلمين يشكلون مساحة جغرافية هائلة وثقلاً سكانياً كبيراً يمتد من طنجة إلى جاكرتا ومن أنقرة إلى جنوب افريقيا، وكذلك الامكانيات والثروات الهائلة لأمكننا أن نرشح الإسلام ليكون الحضارة العالمية. وفى هذا الصدد فإن هناك العديد من العوامل التى تزكى وترجح هذا المنحى.. فمن ناحية فالعالم الإسلامى يقع فى ثقله الأساسى فى قلب العالم وفى أهم المساحات الجغرافية فيه، كما أنه يوجد أيضاً بنسب متفاوتة فى جميع القارات والدول بعكس الحضارة الغربية التى تتركز فى أوروبا وأجزاء من أمريكا الشمالية واستراليا، ولا يمكننا أن نقول ان هناك تواجداً حضارياص حقيقياً للحضارة الأوروبية فى أمريكا الجنوبية أو افريقيا أو حتى آسيا، لأن الموجود فى تلك البلاد شكل من أشكال الخضوع والإلحاق القسرى دون السماح لهم بدخول البيت الحضارى والقيمى للحضارة الغربية، أما المسلم فهو بالضرورة يحمل السمات الحضارية للإسلام والحضارة الإسلامية سواء كان فى افريقيا أو آسيا أو أوروبا أو أمريكا الشمالية أو الجنوبية أو استراليا أو حتى فى بلاد الواق واق.

والنقطة الثانية فى هذا الصدد أن القيم الحضارية الإسلامية من خلال المسلمين موجودة فى كل القوميات والأعراق والأجناس، فالعربى والتركى والفارسى والهندى والصينى واليابانى، والأوروبى، والأمريكى، بل والقوقازى يوجد بينهم مسلمون، وكذلك السود والبيض والحمر والصفر مما يجعل الحضارة الإسلامية مقبولة مسبقاً من شخصيات من كل القوميات والأعراق والألوان والأجناس، بعكس الحضارة الغربية التى تقتصر على جنس واحد هو الأبيض ومساحة جغرافية محدودة فى أوروبا وأمريكا

الشمالية واستراليا.

والنقطة الثالثة فى هذا الصدد هو أن الحضارة الإسلامية أيام قوتها نجحت فى التعايش مع العديد من الحضارات الأخرى، دون أن تمارس قهراً حضاريا على أحد بل وسمحت لهذه الحضارات أن تعبر عن نفسها وأن تستمر، ولو كانت الحضارة الإسلامية حضارة تقوم على القهر لكانت أدمجت تلك الحضارات معها قسراً أو دمرتها وقد كانت تمتلك القوة لتحقيق ذلك، وبالتالى فإن جميع حضارات الأرض التى ما زالت قائمة يمكن أن تقبل التعايش فى ظل الحضارة الإسلامية دون قلق، ويمكن أن تتفاعل معها بلا حساسية لأنها قريبة من العائلة الحضارية للإسلام أولاً، ولأنها من خلال التعايش مع الإسلام، أيام مجده نسجت علاقات ووشائج يمكن البناء عليها اليوم، بل إننا لا نبالغ فى القول أن الانتماء الحضارى الإسلامى لا يقتصر على المسلمين بل يضم معهم معظم سكان الأرض فى آسيا وافريقيا وحتى مسيحيو الشرق يؤكدون أنهم ينتمون إلى الحضارة الإسلامية وإلى الإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن مع احتفاظهم بعقيدتهم الدينية فها هو الزعيم القبطى مكرم عبيد يقول: «أنا مسلم وطنا مسيحى عقيدة».

* * *

وإذا تركنا كل هذه الجوانب التى تزكى ترشيح الحضارة الإسلامية لتكون حضارة العالم فى الغد، وأخضعنا القيم والممارسات الحضارية الإسلامية للمعايير الضرورية لأى حضارة تريد أن تكون عالمية، وهى المعايير التى أثبتنا بها فى الجزء الأول من هذا الفصل عدم صلاحية الحضارة الغربية للعالمية لوجدنا أنه من ناحية ضرورة أن تكون الحضارة العالمية حضارة لا عنصرية وتسمح بدخول الأبيض والأسود والأحمر

والأصفر فيها، فهذه سمة واضحة فى الحضارة الإسلامية، فلقد ضمت تلك الحضارة على قدم المساواة بالفعل ومنذ نشأتها جميع الألوان والأعراق والقوميات دون تمييز، بل وكان من قادتها ومفكريها وفلاسفتها وحكامها وأمرائها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، العربى والتركى والفارسى والمغربى، والنص القرآنى يقول: ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ والحديث الشريف يقول: «لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى».. بل أكثر من هذا فإن تجربة الإسلام الأولى قد ضمت بلال الحبشى، وصهيب الرومى، وسلمان الفارسى كإشارة وإرادة إلهية واضحة الدلالة، وكذلك فتجربة الإسلام المعاصرة ومن خلال الحركة الإسلامية جعلت رجلاً أسود أميناً عاماً لها هو الدكتور «حسن الترابى»، ومنظمة الدول الإسلامية جعلت أفريقيا أميناً لها هو «حامد الغابد».

ومن حيث عدم ازدواج المعايير، فإن الحضارة الإسلامية أبرز من يقدم هذا.. «والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها».. والخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأتى بالقبطى المصرى الذى ضربه ابن عمر بن العاص ويقول له: إضربه كما ضربك.. إضرب ابن الأكرمين..

والتوجيه الإلهى يقول للمسلمين ضرورة عدم ازدواج المعايير حتى مع الأعداء وحتى مع الذين نكرههم ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾.

ومن حيث ضرورة أن تكون الحضارة العالمية أمينة على البيئة وعلى مستقبل الحياة البشرية على الأرض، فالحضارة الإسلامية أكبر من يبرز هذا المفهوم، لأن عملها فى الدنيا مرتبط بالمسئولية أمام الخالق، وبالتالى فلا تبحث عن المنفعة اللاأخلاقية بل تجعل كل عمل موجه لإرضاء الله

تعالى ولإسعاد البشر وبالتالى فلا إفساد للبيئة، ولا إنتاج أشياء ضارة أو مدمرة على حساب سعادة الإنسان بل كل شيء يخضع لتوجيه وأهداف عليا تحرص على التوازن الفردى والجماعى وتحرص على عدم الإفساد وتحرص على أن يكون هدفها سعادة الإنسان وليس مجرد الربح والإنتاج.. بل إن الحضارة الإسلامية فى أيام الدولة العباسية كانت تستطيع أن تحقق الانشطار النووى ولكن المسار العلمى المرتبط بالغايات والأهداف الأخلاقية حال دون ذلك، لأنه غير ضرورى للإنسان فى ذلك الوقت.

والحضارة الإسلامية حضارة مسئولة، فإذا كانت الحضارة الغربية يموت فى ظلها وبسببها ٥٠ مليوناً من البشر سنوياً بسبب المجاعة من ضمنهم ١٥ مليون طفل، فإن الحضارة الإسلامية لا تسمح بالجوع فى أى ظرف ولا تسمح بأن يستأثر مجموعة من الناس بالرفاهية على حساب الآخرين.. «كى لا تكون دولة بين الأغنياء».. ليس منا من بات شبعاناً وجاره جائعاً.. والجار هنا قد يكون فرداً أو أسرة أو مدينة أو دولة أو قارة وهكذا.. «إذا جاع الناس فلا مال لأحد».. «لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء».

وليس الجوعى أو الفقراء أو الأطفال وحدهم الذى تقول الشريعة الإسلامية بمسئولية الدولة الإسلامية عنهم، بل حتى الحيوانات.. فعمر بن الخطاب يقول: «لو أن دابة فى العراق عثرت لخفت أن يحاسبنى الله عليها، ويقول يا عمر لماذا لم تمهد لها الطريق»!

والحضارة الإسلامية لم تقم على النهب والقهر والإكراه، فأولاً لا إكراه فى الدين وثانياً الجهاد الإسلامى والفتح الإسلامى لم يكن بسبب أو رغبة فى النهب والسيطرة بل كان من أجل تحرير البشر وتحقيق حرية الإختيار أمامهم، بمعنى إزالة الأنظمة الطاغوتية التى تقهر الناس على الفقر أو

الجهل أو تخضعهم لأفكار معينة لا يستطيعون رفضها، ثم ترك الناس بعد ذلك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر دون خوف من إفقار أو نهب أو تعسف أو ظلم، ولنستدعى شاهداً من أهلها ليقول لنا هذا، وهو غى دى بوشير* يقول د. محمد عصفور نقلاً عن غى دى بوشير: «يتساءل غى دى بوشير هل يمكن أن نعتبر التوسع الإسلامى ظاهرة استعمارية؟ وهو ينفى ذلك سواء من حيث الأساس أو من حيث البنيان، فمن حيث الأساس لم تكن تقف وراء التوسع الإسلامى حوافز التوسع الإستعمارى ولا غاياته فهو لم يكن يرمى إلى إخضاع الشعوب ولا استغلال مصادر الثروة الإقتصادية فى البلاد المفتوحة لصالح الفاتحين وحدهم بل كان يرمى إلى دعوة الشعوب إلى الدين الجديد، هذا إلى جانب أن الفتح الإسلامى كان يستلهم هدفاً مزدوجاً، فقد كان يرمى إلى غلبة حق القوة وقوة الحق فى وقت واحد معاً، أما المستعمر الأوروبى فلم يكن يستبقى إلا حق القوة، كان الفاتح الإسلامى يشرك أهل الأمصار المفتوحة فى الفتح بعد اعتناقهم الدين الجديد، فيصبحون بدورهم فاتحين فيحيون حياة جديدة بمعنى الكلمة فيصبحون أكفاء للفاتح يقفون معه على قدم المساواة، وهو أمر لم يفعله المستعمر المسيحى قط، ذلك أنه عندما كان يدخل أهل المستعمرات فى ديانته، فقد كان يمنحهم مساواة شكلية تقع على الصعيد الروحى فى أحسن الأحوال، أما على المستوى الدنيوى فقد كانت أوروبا، عن طريق المستعمر، هى التى تحتفظ بكل الحقوق وهى التى تمارس الحكم.

أما من حيث البنيان فلم تكن الامبراطورية الإسلامية وهى ثمرة الفتح تتميز بالقسمات الخاصة التى يتسم بها الاستعمار، فلقد كان مجرد اعتناق

* نقلاً عن الدكتور «محمد عصفور» ـ جريدة الوفد.

الإسلام كافياً لأن يتيح لأى شعب كان أن يشارك فى الفتح وفى تصريف شئون البلاد، وما يسترعى النظر فى ظاهرة التوسع الإسلامى أنه لم تتحقق السيطرة، فى أى لحظة من اللحظات لقوم ما أو لجنس ما، بل كانت سيطرة الدين هى التى تتجاوز إطار الأقوام والأجناس، ولذلك لم تكن ثمة عاصمة واحدة يعود التوسع بالمنفعة عليها وحدها، ولم يكن الفاتحون من عرب الجزيرة وحدهم بل كانوا فى أغلب الأحيان من أهل الشام أو مصريين أو أندلسيين، فلم يجر فتح أسبانيا على يد العرب بل على يد الأندلسيين بعد أن أسلموا فتغلغل الإسلام فى حياتهم إلى أعماق بعيدة بعد أن كان لاختلاطهم بالشاميين والمغاربة أثر كبير من خصائصهم القوية، وطارت ثقافتهم الرفيعة فيما وراء الحدود الإسلامية وساهمت إلى حد كبير فى تطور الفكر الأوروبى والمعرفة الأوروبية فى خلال قرون ما قبل عصر النهضة».

ويروى الأمير شكيب أرسلان فى مقال بعنوان (التعصب الأوروبى أم التعصب الإسلامى) أن أحد الوزراء العثمانيين كان مرة فى أحد المجالس فى جدال مع بعض رجال دولة أوروبا فيما يتعلق بهذا الموضوع، فقال لهم الوزير العثمانى: «إننا نحن المسلمين من ترك وعرب وغيرهم، مهما بلغ بنا التعصب فى الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا، ولو كنا قادرين على استئصالهم، ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على ألا نبقى بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين، وأن نجعل بلداننا كلها صافية للإسلام، فما هجس فى ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً، وكان إذا خطر هذا ببال أحد من ملوكنا، كما وقع للسلطان سليم الأول العثمانى، تقوم فى وجهه الملة ويواجهه مثل زنبيلى على أفندى شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة، ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزعجهم

عن أوطانهم، فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً للشرع الحنيف، فبقى بين أظهرنا حتى أبعد القرى وأصغرها نصارى ويهود وصائبة وسامرة ومجوس، وكلهم كانوا وافرين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أما أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد، واشترطتم عليه إذا أراد البقاء بينكم أن يتنصر، ولقد كان فى أسبانيا ملايين وملايين من المسلمين، وكان فى جنوب فرنسا وفى شمالى إيطاليا وفى جنوبها مئات الألوف منهم، ولبثوا فى هاتيك الأوطان أعصراً مديدة، ومازلتم تستأصلون منهم حتى لم يبق فى جميع هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسلام، ولقد طفت بلاد أسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم»*.

ويقول دكتور اسماعيل الفاروقى: «لقد بلغ المجتمع الإسلامى حدوداً تفوق التصور فى توفير حرية الاعتقاد للآخرين، ولقد مد المسلمون تلك الميزة ـ حرية الاعتقاد ـ التى منحها الله لليهود والمسيحيين والصابئين فى القرآن حتى شملت الزرادشتيين، والهندوسيين، والبوذيين والموالين للديانات الأخرى عندما اتصلوا بها»**.

ولم يقتصر الأمر على مجرد حماية الأقليات وتحقيق حرية الاعتقاد للآخرين، بل تعدى إلى قيام المسلمين بحفظ التراث الحضارى للديانات الأخرى، فهذا أبوالريحان البيرونى، وهو من أعظم علماء المسلمين، قد لخص مذهب المانوية في مواضع كثيرة من كتبه، وقال إن كتب «مانى» تضمنت كيداً للأديان والإسلام من بينها، ثم أضاف انه وجد يوماً مجموعة من الكتب فيها كتاب اشتمل على كتب المانوية وعدة رسائل «لمانى» وفى

* شكيب أرسلان ـ حاضر العالم الإسلامى.

** د. اسماعيل الفاروقى ـ الإسلام بين الديانات الإسلامية العظيمة.

جملتها سفر الأسفار، فغشينى له من الفرح ما يغشى الظمآن من رؤية الشراب»*.

«إن هذا العالم الجليل المتمسك بالإسلام وهو أحد علمائه ويعرف أحكامه العظيمة يعز عليه كتاب يتضمن كيداً للأديان وللإسلام فلا يطالب بحرقه أو مصادرته ولا يمتنع عنه، ولكنه يفرح ويغشاه من الفرح ما يغشى الظمآن من رؤية الشراب»**.

الذين لا يفهمون الإسلام، أو يكرهونه ابتداء، يحاولون أن يقرنوا الجهاد فى الإسلام بالعنف الأوروبى، ويقولون ان هذا مثل ذاك، وإذا كان العنف الأوروبى هو غاية فى حد ذاته ووسيلة للسيطرة والقهر والنهب، فالجهاد فى الإسلام وسيلة فقط، ووسيلة لعكس الأسباب التى يقوم بها العنف الأوروبى، أنه وسيلة لمنع وإلغاء والقضاء على القهر والنهب والسيطرة .. إنه فى الحقيقة ثورة من أجل التحرير، تحرير الإنسان فى كل مكان من العبودية للبشر إلى العبودية لله وحده.

وإذا كان مفكرون منصفون من الغرب مثل عن دويشير كما ذكرنا من قبل قد أثبت اختلاف الفتح الإسلامى عن التوسع الأوروبى فى الغايات والأهداف والممارسات، فإن الأمر فى حقيقته وإذا ما تم فهم الجهاد الإسلامى والفتح والغزو فى الإسلام فى إطار موضوعى يكون تأكيداً جديداً على عالمية الإسلام بل وإحساسه بالمسئولية الأخلاقية تجاه البشر جميعاً، إن الجهاد فى الإسلام ليس موجهاً ضد الناس ولكنه موجهاً ضد الأكاسرة والقياصرة، إنه ليس موجهاً ضد المستضعفين بل موجهاً ضد من يستضعفونهم.. ﴿ **وما لنا لا نقاتل فى سبيل الله**

---

* محمود الشرقاوى ـ تقويم الفكر الدينى.

** فهمى هويدى ـ موقع غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ـ دار الشروق.

والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾. إن الفتح الإسلامى والجهاد الإسلامى عندما فتح فارس مثلاً فإنه فى الحقيقة قد حرر الفرس من طغيان الأكاسرة وأعطاهم حق الاختيار كاملاً، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وعندما فتح الإسلام الأندلس، التى كان يسود فيها قبل الفتح الإسلامى نظام إقطاعى يعطى الحق للسيد الإقطاعى فى التحكم فى رقيق الأرض بيعاً وشراء وقتلاً وتجويعاً كما يريد فإن هذا الفتح قد حرر هؤلاء العبيد وأعطاهم الأرض التى يزرعونها ليحصلوا على خيراتها وهو بذلك قد منع نهب السيد الإقطاعى لعرقهم وحررهم فى نفس الوقت.

يقول الله تعالى: **﴿ قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾**.. أى جاهد حتى لا تستمر فتنة إكراه الطغاة للناس على فكر معين وأسلوب معين، وحتى لا تستمر فتنة القهر والاستبداد والظلم والنهب، وحتى لا تستمر فتنة تأليه الحكام لأنفسهم وإرغام الناس على ذلك، أى جاهدوا لتخرجوا الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس الذى يستوى أمامه الأمير والصعلوك، المالك والأجير، قاتلوا فإذا انتهوا أى كفوا عن القهر والنهب وتأليه أنفسهم على حساب الناس فلا عدوان إلا على الظالمين، أى لا عدوان إلا على من يعود إلى الظلم أو يحاوله مرة أخرى.

إن مفهوم الجهاد فى الإسلام مرتبط بمفهوم الدعوة، وهو وسيلة لتحقيق حرية الدعوة، أى تحقيق كل الحرية والإنصاف والعدل للناس وتركهم بعد ذلك يختارون ما شاءوا من عقيدة، وصحيح أنهم يختارون الإسلام، ولكن ذلك ليس بسبب شىء آخر سوى أنه دين الفطرة.

إن الله تعالى خلق الناس على فطرة الإسلام، بل عرفهم به قبل أن

يبعثهم في الأرض، وهو ما يسمى في الفقه ميثاق الذراري: ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** ﴾.. ثم ان الله تعالى قد خلق للناس عقولاً يستطيعون بها الاهتداء بسهولة وبيسر إلى وجود الله ووحدانيته ودينه الحق «الإسلام» كما أنه تعالى خلق في الكون من الآيات والعبر ما يؤكد وجود الله تعالى ووحدانيته وصحة دينه «الإسلام»، ثم من وقت لآخر يذكر الناس بهذا الدين والمنهج ويمدهم بالأسلوب الصحيح لإعمار الحياة والفوز في الآخرة عن طريق الرسل والأنبياء. وما دامت الفطرة والقلب والعقل كلها تقود إلى الله ووحدانيته ودينه الحق «الإسلام».. إذن فمن الطبيعي أن يهتدي الناس إلى الإسلام بسهولة ويسر، ولكن القوى الشيطانية جاءت لتحول بين الناس وفطرتهم وعقولهم وقلوبهم، جاءت لتطمس الفطرة بأساليبها الملتوية، جاءت لتمنع حرية التفكير عن طريق الاستبداد السياسي والقهر والإعلام الموجه، جاءت لتقوم بنهب الناس وتحويلهم إلى محرومين حتى يؤدي هذا الحرمان إلى الضغط على الناس بعيدا عن فطرتهم وبعيداً عن تشغيل عقولهم واستخدامها.

والمطلوب من المسلمين، والهدف بالتالي من الجهاد، هو إزالة هذه القوى التي تحول بين الناس وحرية التفكير، أو تحرم الناس اقتصاديا أو تضللهم إعلاميا واجتماعياً، المطلوب هو إزالة هذا الطغيان السياسي والإقتصادي والإجتماعي، لتصبح هناك حرية ويصبح هناك اختيار بلا ضغوط سياسية ولا اجتماعية ولا اقتصادية، ويصبح هناك إشباع لحاجات الناس فلا يظلون أسرى هذه الحاجات.

المطلوب ببساطة من المسلمين ، والهدف بالتالي من الجهاد، هو إزالة

الإكراه بأى صورة من الصور سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو إعلامية ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾ المطلوب هو تحقيق حرية الاختيار، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

وهكذا فإن الجهاد والفتح فى الإسلام ليس قهراً بل تحريراً ..

❂❂❂

obeikandl.com